**تطور الفكر الإتصالي:**

**سوسيولوجيا الثقافة الجماهيرية**

هذا التوجه بزعامة المفكر الفرنسي إدقار موران (Edgar Morin) وهو عالم اجتماع متحصل على شهادة الليسانس في التاريخ والجغرافيا وليسانس في القانون ثم تحول لدراسة علم الاجتماع شارك في المقاومة الفرنسية ضد النازية الالمانية في 1955 نشط وشارك  في لجنة ضد الحرب في الجزائر ودافع كثيرا عن المناضل مصالي الحاج اهتمام كثيرا بالتطبيقات الثقافية  التي بدأت تظهر في الستينات له عدة مؤلفات منها :( la nature humaine ) الطبيعة الإنسانية وروح الزمان (l'esprit du temps) وغيرها من الكتب المشهورة،  ترأس مركز البحوث للدراسات الجماهيرية الذي نشر العديد من البحوث المتعلقة بالتلفاز والراديو والأغنية و غيرها، كان هذا المركز ينشر دورية تحت عنوان : communication والتي مازالت تنشر إلى يوم نا،  يعتبر ادقار موران مؤسس التفكير المعقد حيث يقول إن كل ظاهرة ويجب ان تدرس من كل الجوانب،  حاول أن يؤسس طريقة لدراسة التفكير المعقد وله كتاب مؤلف في ستة أجزاء، الكتاب شهير جدا اسم هذا الكتاب (la méthode) المنهج حاول فيه ان يوضح فيه أن الكون معقد والانسان كذلك معقد و اقترح منهجا لفهم ذلك ودعا الى اعادة النظر في التفكير البشري والدخول في مفهوم الفكر المعقد او التعقيد ، كتاب المنهج من اهم ما كتب المفكر الكبير إدغار موران حيث يحتوي على الأجزاء الموالية:

* الجزء الاول (la nature de la nature) طبيعة الطبيعة 1977 يقارب القضايا من الناحية الفيزيائية حيث عالج العديد من المفاهيم،  منها مفهوم التراكيب و الترتيب،  مفهوم الفوضى مفهوم النسق مفهوم الإعلام ومفهوم المعلومة وغير ذلك.
* الجزء الثاني : (la vie de la vie) حياه الحياه ناقش  في هذا الجزء مفهوم الحياة والبيولوجيا،  هذا الجزء صدر عام 1985
* الجزء الثالث (la communication de la communication) معرفة المعرفة عالج فيه المعرفة من الناحية الأنثروبولوجية
* الجزء الرابع بعنوان الأفكار (les idées) حيث عالج فيه المعرفة من الناحية الجماعية, أي كيف يتم تنظيم الأفكار وكيف نعيش ، عالج الكثير من المفاهيم الفلسفية منها اللغة والمنطق وغير ذلك كما عالج قضية المفهوم باعتباره كلمة تساوي علميا اي حسب أدوات ومناهج علمية محددة.
* الجزء الخامس إنسانية الإنسانية (l'humanité de l'humanité) تطرق في هذا الجزء الى معالجة قضية مهمة وهي قضية الهوية.
* الجزء السادس والاخير الأخلاقيات يدعونا فيه الى التسلح بأخلاقيات التفهم مع الغير عندما نادى بهذه الأخلاق،  حيث يقول اننا نحاول ان نفهم الغير عندما نتصل به وتحاورهم  وهذا ربما مهم جدا أعمال ادغار موران ترجعنا الى ما قاله المفكر Henri Atlan ؛ الذي يذكر أن التفكير الصحيح واللائق هو ذلك الذي يقع بين خشونة البلور وليونة الدخان حيث أن الإنسان في حياته يتصف بالانطوائية الإعلامية أو الانغلاق الإعلامي والانفتاح الإعلامي؛  فالإنسان اما له عقل متحجر لا يقبل التفكير أو سلوك الغير او عقل دخاني يقبل كل شيء وهذا أيضا خطر عليه ، فلا يفرق بين ما هو جميل وما هو قبيح الانفتاح الإعلامي الذي يدعو له المفكر،  يقع بين هذا وذاك فيجب ان يكون الانسان دائما له اختيار اي الأخذ من هذا العالم الخارجي ما يساعده على المقاومة وترك ما لا يفيد وللتوضيح مثلا نحن نقرأ الأخبار ولكن لا يجب تصديق كل شيء فيجب التحليل والنظر إلى واقعية هذه الأخبار ومصادرها وإلا أصبحنا كالموج تلعب به الرياح، كتاب المنهج كتاب مهم جدا تم فيه الاعتماد على عدة مقاربات كالمقاربة الإعلامية والسيبرنطقية والنسقية وغيرها  وهذا الكتاب مصدر دقيق لمن يدرس قضايا الإعلام والمعلومات.

**قضية حرية التفكير والتواصل:**

اهتم العلماء منذ العصور الاولى بمفهوم الاتصال فقد كان الاهتمام في الحضاره الاغريقيه بالمعرفه كمثال كتاب جمهورية افلاطون الذي ورد فيه تقريبا كل المشاكل التي حدثت ورأينا فهو ينادي بحرية التفكير وانشا ما يعرف بالمدينة الفاضلة او كما يقول البعض المدينه المثاليه ولكن عندما ننظر إلى الإنسان نرى أن كل شخص مختلف عن الاخر وبالتالي المثالية مفهوم فيه ما يقال وفرض طريقة التفكير معينة على الاشخاص امر مستحيل تطبيقيا

 قام احد المفكرين بدراسة حول المعتقلين في سيبيريا بالاتحاد السوفياتي خلال الحرب العالمية فوجد ان معظمهم وفلاسفة وفنانين هو مفكرين لهم نظره مختلفه ستالين الذين نظرتم احداديه ووجد الباحث أن من أنشأ المعتقلات هو ستالين لكن المسؤول إن ستالين هو لينين ومن غذى فكر لينين هو كارل م اركس ماركس مؤسس الشيوعيه وصحب كتاب راس المال ايضا المسؤول عن كارل ماركس هو هيغل مؤسس الجدلية وهيجل تاثر ايضا بيروني ديكارت والكل يعلم ان ديكارت كما يقال تلميذ افلاطون

 يقول ارسطو عباره مشهوره جدا الحقيقه فينا وليست بيننا فهو هنا كما نرى يعارض أفلاطون في السياق نفهم منه أمر مهم وهو ان الديمقراطية ترمي إلى إمكانية الاختلاف بين الناس بمعنى أن الاختلاف وارد لان كل وجهة نظر وطريقة التفكير يستحق التأمل والاعتبار للانغلاق الإعلامي مثلا يدعو الى احادية التفكير كما يرى ذلك افلاطون ومن معه اما الانفتاح فهو عكس ذلك كما يرى روني ديكارت الذي يقول في كتابه مشهور جدا خطاب المنهج "discours de la méthode"  جملة رائعة ومشهورة جدا: "المعقول هو شيء تتقبله كل البشرية" هذه الجملة فيها اشارة الى استخدام العقل في كل شيء لكن بالمقابل يمكن القول أن الإنسان لا يستخدم عقله في كل مرة،  بل يستخدم أحيانا عاطفته.

 في بداية الستينات ظهر باحث مميز كندي اسمه مارشال ماكلوهان مختص في الآداب كتب كتابين هامين هما من اجل الفهم الوسائط pour comprendre les média والجمهورية قوتنبرق la galaxie gutenberg، في هذين الكتابين ؛ حاول ماكلوهان تفسير الكثير من القضايا وكيفية تطوير الفكر الاتصالي نجح الى حد ما في ذلك من خلال إدراج مفهوم القرية الكونية(le village planétaire)عام 1962 وهذا المفهوم أصبح في القرن العشرين حقيقة،  وذلك بفضل التكنولوجيا وهذا يعني ان مكلوهان  تنبأ بما سيحدث أيضا من المفاهيم المهمة لدينا مفهوم الرسالة هي الوسيط بمعنى ان فعالية الرسالة مرتبطة بالقناة المستخدمة لنقل هذه الاخيرة.

**مساهمة مدرسة بالو ألتو في تطوير الفكر الإتصالي:**

مدرسة بالو التو هي مدرسة تقع في مدينة صغيرة بولاية كاليفورنيا الأمريكية هناك عدد كبير من المفكرين ينتمون الى هذه المدرسة جاؤوا من تخصصات كثيرة؛ كعلم النفس و الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها،  أنشئت هذه المدرسة من طرف باتسون و منحو اسم التيار الفكري لهذه المدرسة بالو التو نسبة  للمدينة التي تقع فيها تعرف هذه المدرسة أيضا باسم المدرسة الخفية بدأت المدرسة بالعمل على المرضى النفسيين الذين أصيبوا في حرب كوريا ثم حولوا اهتماماتهم لحقل الإعلام و الاتصال و عملوا على إنشاء مبادئ أصبحت اليوم تعرف بمبادئ مدرسة بالو التو هذه المبادئ يمكن عرضها كما يلي:

* لا يمكن لنا أن لا نتصل بالغير
* الإتصال معناه الدخول في الجوق
* في الاتصال العلاقة تأتي قبل المضمون

 مدرسة بالو التو تهتم بكل القضايا المتعلقة بالعملية الاتصالية بما في ذلك؛ الحركات، النظرات ، الصمت، طرق الاتصال و غير ذلك وفي ما يلي شرح و جيز لمبادئ المدرسة:

* لا يمكن لنا أن لا نتصل؛ الإنسان اجتماعي بطبعه عدم الاتصال بين الناس مستحيل وذلك لأن الاتصال سلوك ويخضع لقوانين، فقد يكون السكوت مثلا نوعا من الاتصال كما يمكن ايضا ان تكون بعض الحركات اتصالية  ايضا تعبير، كما يقال السكوت عن الاحمق جوابه ويقال ايضا الصمت علامة الرضى ، أيضا من الأمور المهمة والمعروفة أن الصوره احيانا اصدق من الكلمة فمدرسة بالو ألتو لا ترى أن اللغة فقط وسيلة الاتصال بل تتعدى ذلك الاعتبار أن كل السلوكيات هي عبارة عن إتصال،  فهي تأخذ بما يسمى بمفهوم ما فوق اللغة، فالخطاب الحركي يحمل عدة دلالات وله صدى احسن من الخطاب اللغوي لان هناك امور قد يكون التعبير عنها حركيا افضل من التعبير عنها لغويا طبعا يجب دائما مراعاة خصوصيات المجتمع اللغوية الأخلاقية الاجتماعية وغيرها
* الإتصال معناه الدخول في الجوق؛ هذه العبارة معناها ان في العملية الاتصالية الرأي السائد هو دائما المسيطر بمعنى أن القائم بالعملية الاتصالية او الشخص في المجتمع دائما يحاول اعتماد الكلام الذي يقبله الجميع فمن يخالف في غالب الأمر يجد أن الكل يعارضه وبالتالي  الإنسان يخاف من العزلة ويخاف من البقاء وحده في الرأي  وهذا تقريبا يشبه ما يعرف بـ لولب الصمت هذ ه هذه النظرية التي مفادها أن  الإنسان عندما يكون رأيه مخالف لمجموعة من الناس مثلا يلتزم الصمت ولا يعبر لخوفه من البقاء منعزلا فما بينته الباحثة الألمانية نيومان صاحبة النظرية مهم جدا،  وعليه معنى الدخول في الجوق هنا يصبح واضح أوقضية السير في حقل الأغلبية  او كما يقال عندنا مثل الشعبي ادهن السير يسير .
* في الاتصال العلاقة تاتي قبل المضمون هذا المبدأ المقصود به أن الرسالة قبل بثها يجب أن ينظر في الجمهور المستهدف لها والاثر الذي تتركه فيهم حتى يكون المحتوى لهذه الرساله مفهوما عند الجميع بنفس الطريقة حتى يكون الهدف من المضمون واضحا ومقبولا بطريقه يكون فيها التحضير لنشر الفكره معلوما وفعالا وهو كما يقال مدخل المناسب لبناء ما يعرف والصور النمطية.

في هذا الطرح نكون وضعنا بعد الأفكار التي توضح كيفية تطور الفكر الإتصالي الذي هو في الأساس مبني على دراسات ونظريات علمية.